

التبيان في تفسير القرآن

(330) قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً) (116) آية بلاخلاف أخبرنا تعالى في هذه الآية أنه لا يغفر الشرك، وأنه يغفر ما دونه، وقد بينا الاستدلال بذلك على ما نذهب إليه من جواز العفو عن مرتكبي الكبائر من أهل الصلاة، وإن لم يتوبوا فما مضى، فلاوجه لاعادته وقيل أنه عنى بهذه الآية أباطعمة الخائن حين أشرك ومات على شركه بالله، غير أن الآية وإن نزلت بسببه، فعندنا وعند جميع الأمة أن الله لا يغفر لمن أشرك به بـالتوبة: لتناول العموم لهم، فإن قيل: فعلى هذا من لم يشرك بالله بان لايعبد معه سواه، وإن كان كافراً بالنبى (صلى الله عليه وآله) من اليهود النصارى ينبغي أن يكون داخلاً تحت المشيئة، لانه مما دون الشرك ! قلنا: ليس الامرعلى ذلك لان كل كافر مشرك، لانه إذا جحد نبوة النبى اعتقد أن ماظهر على يده من المعجزات - ليست من فعل الله، ونسبها إلى غيره، وان الذى صدقه بها ليس هوالله، ويكون ذلك اشراكاً معه على أن الله تعالى أخبرعنهم بأنهم قالوا: - يعنى النصارى - " المسيح ابن الله، وقالت اليهود عزيز بن الله " (1) وذلك هوالشرك بالله تعالى على أنه لولم يكونوا داخليين في الشرك لخصصناهم من جملة من تناولتهم المشيئة لاجماع الأمة على أن الله تعالى لا يغفر الكفر على وجه الابتوبة. وقوله: " ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً " يعنى من يجعل في عبادته مع الله شريكاً، فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل ذهاباً بعيداً، لانه باشراكه مع الله في عبادته فقد أطاع الشيطان، وسلك طريقه وترك طاعة ربه. _____ سورة التوبة، آية 31. (*)